الفصل الثاني

أدوات القمع

بعد أن تناولنا كيفية التعامل مع قوات القمع، نتناول كيفية التعامل مع أدوات القمع، من عصي إلىٰ قنابل غاز إلىٰ رصاص،.. الخ. ويراعىٰ قبل التعامل مع أي أداة مراعاة الدراسة الجيدة للأداة، وطريقة استخدامها. ورغم وجود دليل عالمي لقوات مكافحة الشغب (**مرفق أجزاء منه في الملحق آخر الكتاب**)، إلا أنه لا يغني عن الدراسة المحلية لطبيعة وطريقة استخدام أدوات القمع حيث تختلف من دولة لأخرىٰ بحسب طبيعة الديكتاتورية.

دراسة أدوات القمع

ويتم دراسة أدوات القمع من حيث:

* **التكوين الفيزيائي**: المكونات، بلد الصنع، الجزء الضار، أهم جزء (**أحياناً لا يكون أهم جزء هو الضار، فمدفع الدبابة هو الذي يلحق الأذىٰ، لكن ماذا لو لم تتمكن من السير؟!!**).
* **طريقة العمل**: وتشمل نقاط قوة الأداة وضعفها (**قد تكون من نقاط قوتها أنها قاتلة، ومن نقاط ضعفها أنها تؤلب الرأي العام**)، كذلك يدخل في طريقة العمل البحث في مدىٰ اعتمادها علىٰ أدوات أخرىٰ معها، فهي لا تعمل بمفردها بكفاءة.
* **أثر الأداة**: الأثر المادي، ويشمل طبيعة التأثير (**قتل – إصابة – اختناق – الخ**)، ومرمىٰ التأثير (**علىٰ بعد كم متر تحدث الأضرار**)، وعدد المتضررين من التأثير (**الرصاص الحي يصيب شخص واحد، بينما قنبلة الغاز قد تؤثر في عدة أفراد**)، كما يدرس الأثر المعنوي مثل الترويع.
* **طبيعة استخدام النظام**: وتشمل هدف النظام من استخدامها. (**تعطيل – قتل – تخويف – الخ**)، مدىٰ جرأته علىٰ استخدامها، ومعدل الاستخدام (**متكرر أم في أضيق الحدود**)، وحالات الاستخدام (**معتدي أم معتدىٰ**

عليه)، ومؤشرات جدية النظام في استخدامها: قد تكون توافر مدرعات معينة في المكان، أو لبس أقنعة غاز، أو وجود مرتزقة في المكان .. الخ. من الذي يستخدمها (**قوات نظامية أم مرتزقة**). وتكتيك الاستخدام (**مثل الإعلان التحضيري القبلي عن استخدامها، وتكتيك الاستخدام، وكم الأذىٰ المراد إلحاقه بالمتظاهرين، وضرورة اعتلاء مباني**).

* **التعامل المضاد**: كيفية إبطال مفعول عملها (**مثل حرق الإطارات في حالات قنابل الغاز**)، أو تعطيلها تماماً مثل إيقاف مدرعة. وتحديد الاستراتيجية الأفضل في التعامل مع هذه الأداة. (**التجنب – صناعة دروع – الخ**). وتحديد المواد والأدوات المضادة لهذه الأداة (**مثال: الخل مقابل الغاز، ومادة الكفلر Kevlar Thread مقابل الرصاص**).

* **خبرات المقاومة**: تسجيل الخبرات السابقة في التعامل مع الأداة، سواء عالمياً أو محلياً، وتحديد الأسئلة والتحديات التي لم تتوفر لها إجابة بعد.

ومن المهم أن تعكف مجموعة في كل حركة علىٰ دراسات التأمين، ليتركز دورها في الاحتجاجات في مراقبة سلوك قوىٰ القمع، وتوفير الأجوبة علىٰ أهم الأسئلة التي تساعد في فهم طبيعة عمل كل أداة من أدوات القمع، وأهم الأفكار للتعامل معها. وتصنيع أدوات الحماية واختبارها، بالإضافة إلىٰ الرجوع إلىٰ المصادر العلمية بهذا الشأن.

* * * *

جدول دراسة أدوات القمع

اسم الأداة:.....			
الطبيعة الفيزيائية	المكونات		
	الجزء الضار		
	الجزء المهم		
	بلد الصنع		
طريقة العمل	نقاط القوة		
	نقاط الضعف		
	اعتمادها علىٰ أدوات أخرىٰ		
الأثر	الأثر المادي	مرمىٰ التأثير	
		عدد المتضررين	
		طبيعة التأثير	
	الأثر المعنوي		
استخدام النظام	هدف الاستخدام		

	حالات الاستخدام	
	من المستخدم	
	مدى الجرأة	
	معدل الاستخدام	
	مؤشرات الجدية	
	تكتيك الاستخدام	
التعامل المضاد	إبطال المفعول	
	التعطيل	
	مواد مضادة	
	استراتيجيات وتكتيكات مضادة	
خبرات المقاومة	رصيد خبرات سابقة	
	أسئلة لم يتم الإجابة عنها	

جدول 1 : **دراسة أدوات القمع**

أفكار أولية للتعامل مع أدوات القمع المتنوعة

أبدع المقامون حول العالم وسائل متنوعة للتعامل مع أدوات القمع، نستعرض بعضها علىٰ سبيل المثال:

الزي

إن الزي الذي يرتديه رجل القمع يلعب دوراً مهماً في صناعة الصورة الذهنية لدىٰ المحتجين، وهو من أهم أدوات حمايته، فهو الذي يحجب الشخصية الحقيقية. ليرىٰ المحتج أمامه قطعاً بشرية متراصة كالأحجار، لا يستطيع أن يميز بينها، فيستحيل لديه الأمل في التأثير فيها. لذلك يشعر المحتجون – خاصة الذين يشاركون لأول مرة – ببعض الراحة إن رأوا الجندي أو الضابط يخلع خوذته، أو يمسك منديلاً ليجفف عرقه، أو يكلمهم.. فقد انتبهوا للتو أن أمامهم إنساناً.

إن أهمية الزي تكمن في أنه أول شيء يراه المحتج أمامه، هو العنوان الأساسي لمعسكر القمع. وهو في حد ذاته يساهم بشكل كبير في الحالة النفسية للمحتجين، خاصة الجدد منهم.

لذلك كان تقديم الورود والحلوىٰ والمياه.. الخ إلىٰ الجنود والضباط، ليس فقط من أجل طمأنة «**رجل القمع**»، وإعلان سلمية الاحتجاج، ولكنه يفيد كذلك المحتج نفسه، وهو يراقب ردود الفعل سواء بالقبول أو الرفض. ليرىٰ السلوك البشري لرجل القمع، ويتأكد أنه يواجه شخصاً من جنسه، فهو لا يواجه آلة أو كائن أسطوري خرافي.

وحتىٰ لو لم يتمكن كل محتج من فعل ذلك، فإنه يراقب مثل هذا السلوك من المحتجين القريبين من قوىٰ القمع، ويتأثر به ويعتبره في حد ذاته حدثاً

مهمـاً، ربما يحكي لزملائه عنه، ويعطيه أولوية في رواية ما شاهده في يومه.

لذلك تفيد مثل هذه الأنشطة التي تعتمد إجراء حوار مع «**رجل القمع**» في ضبط الحالة النفسية للمحتج، وتصحيح الصورة الذهنية، وكسر الحاجز النفسي الذي يصنعه الزي.

صورة 1 : **الزي العسكري يلعب دوراً في التأثير النفسي علىٰ المحتجين.**

كذلك يقوم المحتجون بأنشطة تدلل علىٰ أنهم لا يكترثون كثيراً بهذا الزي، متعمدين إيصال رسالة اللامبالاة به، بل وأحياناً جعله موضع سخرية، **ومن أمثلة ذلك:**

* خروج المحتجين في مواجهة الشرطة وهم يمسكون بألعاب مثل عوامات البحر والبالونات، ويستخدمونها كدروع، وهم يعلمون أنها لن تحميهم من الضرب، لكنها أمام الإعلام ستظهر سخافة ما تقوم به قوىٰ القمع.
* حمل أقلام ضخمة دلالة علىٰ أن المقاومة تواجه السلاح بالعلم والعقل.

* تقبيل الدروع التي تحملها قوىٰ القمع.
* الكتابة علىٰ الدروع .
* القيام بمسح الدروع وتنظيفها.
* حمل مرايا كبيرة علىٰ بعد ثلاثة أمتار مثلاً لترىٰ قوات القمع نفسها.
* تقليد وقفات قوات الأمن وحركاتهم بشكل ساخر.
* اللعب بفقاعات الصابون التي تطير في الهواء أمام الصف الأول لقوات القمع.
* إخراج الجنود من هيئتهم الآلية بوضع أشياء أمامهم قد تربكهم، أو تلفت انتباههم، مثل وضع ديك علىٰ الأرض أمامهم، أو مجموعة من الدجاج أو الكتاكيت أو البط أو الأرانب، ويتم تصوير ردود أفعال قوىٰ القمع، ونظراتهم، وحركاتهم، وكيف سيتعاملون معها. كما يتم تتبع حركة هذه الحيوانات بالكاميرا في حالة القمع، ماذا ستفعل، وماذا ستفعل قوىٰ القمع معها؟!
* إلقاء البيض أو ألوان الطلاء علىٰ الزي، وهي وسيلة مستفزة يلجأ إليها البعض كرد فعل في الحالات التي تستخدم فيها قوات القمع العنف، وتعتمد المقاومة استراتيجية المقاومة والثبات والإنهاك أطول فترة ممكنة. وبدلاً من الرد بالحجارة تلجأ لمثل هذه الوسائل، التي يظل أثرها مع رجل القمع مدة طويلة، وأحياناً تكون فلسفة الاستفزاز هي إخراج رجل القمع من خلف زيه، ليبدو كطفل غاضب أحياناً. وفي كل الأحوال لا يستخدم هذا التكتيك إلا كرد فعل، لينفس المحتجون عن غضبهم إزاء الهجمات العنيفة.
* مواجهة الزي بزي مضاد. فبدلاً من أن ينشغل المحتجون الجدد بالنظر

إلىٰ زي قوات القمع، ينشغلون بالنظر إلىٰ الأزياء الغريبة للمشاركين معهم في الصفوف الأولىٰ، كما يقل توتر أصحاب الزي من قوات القمع، لأنهم مشغولون بردود الأفعال علىٰ ملابسهم أكثر من انشغالهم بالنظر لقوات القمع. كذلك تتغير المعادلة من زاوية قوات القمع، حيث تتابع باندهاش أزياء المحتجين، بعدما كانوا هم من يتهيبون زي قوات القمع. وبذلك تفوز المقاومة في معركة الزي، أو بالأحرىٰ معركة خطف الأنظار.

صورة 2: نشطاء حركة جرين بيس في طوكيو يرتدون زي العيون العملاقة، كدلالة علىٰ الرقابة، ويرفعون لافتون أمام خارج مقر وزارة الاقتصاد والتجارة والصناعة، رافعين لافتات "هل نسيتم أن الشعب يراقبكم؟!"

صورة 3: مجموعة من الطلبة في كولومبيا يلقون مواد الطلاء علىٰ الشرطة احتجاجاً علىٰ ارتفاع رسوم الجامعة.

صورة 4: محتجون يواجهون الشرطة بدروع من العوامات في مشهد يؤكد سلميتهم ويظهر سخافة الشرطة وحماسها غير المبرر للقمع.

صورة 5: فتاة من جيش المهرجين تقف خلف الشرطي وتقلد وقفته.

صورة 6: واحدة من المحتجين تقبل درع رجل الشرطة.

صورة 7: عضو في جيش المهرجين تنظف خوذة الشرطي.

صورة 8: محتجون يحملون أقلامًا ضخمة، يمكن أن تستثمر في إيصال رسالة أن المقاومة تواجه جهل القمع بالعلم.

ويراعىٰ انتقاء المناسب من الوسائل بحسب الحالة، وتُختار المجموعة الأنسب من الأفراد للقيام بهذا العمل. مع مراعاة الموازنة بين كسر الصورة الذهنية لدىٰ المحتجين وعدم استفزاز قوات القمع، فبعض الوسائل التي ذكرناها إن لم تتم بشكل صحيح تتحول إلىٰ وسائل استفزازية. وقد تتطلب في بعض الأوقات استئذاناً مباشراً من «**رجل القمع**» مثل الكتابة علىٰ درعه. فكل هذه الممارسات في النهاية فرصة لإجراء حوار مع رجل القمع، ونحت الزي الأسود لتظهر من خلاله شخصيته الحقيقية، تماماً مثلما يخرج النحات إنساناً من الحجر.

* * * *

العصي

- حقائب الظهر.
- الدروع الخفيفة (سواء كان تصنيعها منزلياً[1] أو شراؤها من محلات بيع الأدوات الرياضية والمنزلية).

صورة 9: درع خفيف وحقيبة ظهر لتلقي الضربات.

صورة 10: دروع فردية في مواجهة الهراوات وعليها صور أشخاص.

1 للمزيد من التفاصيل حول تصنيع الدروع يمكن الرجوع لكتاب "الدروع الواقية من الخوف"، من إصدار أكاديمية التغيير.

صورة 11 : محتجون يحملون دروعاً على هيئة كتب، ويكتب كل محتج اسم الكتاب الذي يواجه به القمع.

صورة 12 : أحد المحتجين يصد بدرعه ضربة هراوة رجل الشرطة.

صورة 13 : درع رياضي يمسكه المدرب في رياضات الدفاع عن النفس، ويسدد المتدرب ركلاته نحوه.

* * * *

مضخات المياه

- سد المضخة.
- دروع جماعية.

صورة 14 : **دروع جماعية للوقاية من المياه.**

في حالة استخدام قوىٰ القمع لمياه من الصرف الصحي يمكن صناعة الدروع مع لصق صورة المسؤول الذي يتم التظاهر ضده عليها، بحيث تغطيه مياه الصرف الصحي. هذا المشهد سيحول المقاومين من مفعول به تلطخه المياه القذرة، إلىٰ فاعل يلطخ خصمه، ويورط قوىٰ القمع في هذا المشهد المهين لزعيمهم.

قنابل الغاز

* إشعال النار في الإطارات لإنطلاق الدخان في الهواء[1].
* إطفاء القنبلة في براميل الرمل ولفها في «**بطانية**».
* إمساك القنبلة ورميها في مكان بعيد أو نحو قوات القمع.
* ارتداء أقنعة غاز ونظارات.

---

1 لا يفضل استخدام هذا التكتيك إلا في حالات ثورية حاسمة إن لزم الأمر، فهو يوحي وكأن هناك أعمال شغب، مما ينفر البعض من المشاركة، ممن لا يعرفون فائدة هذا التكتيك، كما أنه يزيد توتر المشاركين، وقد يعرقل عملية التصوير.

* وضع كمامات.
* استخدام محاليل مثل الخل والمشروبات الغازية.
* استخدام مساحيق وملطفات تباع في الصيدليات.[1]

الرصاص غير القاتل (البلي)

* نظارات بحر للوجه، يمكن تغطيتها بطبقة من المعدن الشبكي.
* مصدات في المناطق الحساسة من الجسم مثل الكوع وأطراف الأصابع وقصبة القدم.. الخ.
* دروع بلاستيكية أو من مادة معدنية، أو أي مادة أخرىٰ تخفف من الصدمات، خاصةً تلك الناتجة عن المقذوفات من علىٰ مسافات بعيدة.
* دروع جماعية من الألواح المعدنية المستخدمة في صناعة أبواب المحلات، أو من ألواح خشبية أو بلاستيكية.
* عربات القمامة.
* دروع رياضية مثل التي تستخدم في ألعاب الدفاع عن النفس.

صورة 15 : **محتجون يحمون أذرعهم وصدورهم، ويمكن أن تغطىٰ هذه الأدوات بأشكال أكثر جمالية.**

1 انظر التفاصيل حول التعامل مع قنابل الغاز في الملحق.

صورة 16 : دروع من ألواح أبواب المحلات المعدنية وبعض الأخشاب.

صورة 17 : دروع جماعية من ألواح أبواب المحلات المعدنية.

صورة 18 : دروع فردية تعكس رسالة المحتجين.

صورة 19 : درع يباع في ألعاب المحلات الرياضية الخاصة بألعاب الدفاع عن النفس.

صورة 20: درع رياضي كبير يصلح استخدامه على المسافات القريبة، وهو درع يبلغ طوله 120 سم، وعرضه 100 سم، وسمكه 12 سم.

* * * *

الرصاص الحي

- المصورون يرتدون دروعاً واقية من الرصاص.
- دروع معدنية سميكة.
- الاختباء خلف المباني والسيارات.
- متاريس خرسانية ثابتة ومتحركة علىٰ عجلات.
- متاريس شكارات رملية ثابتة ومتحركة علىٰ عجلات.
- «**سحابة الردع**»، وتتكون من مظلات خرسانية تُجر علىٰ عجلات أو مظلات شكائر الرمل لحماية رءوس المحتجين.[1]

صورة 21: **علىٰ اليمين متاريس من شكارات الرمل الثابتة، وعلىٰ اليسار متاريس خرسانية ثابتة.**

1 انظر سحابة الردع في فصل تكنولوجيا مقاومة العنف.

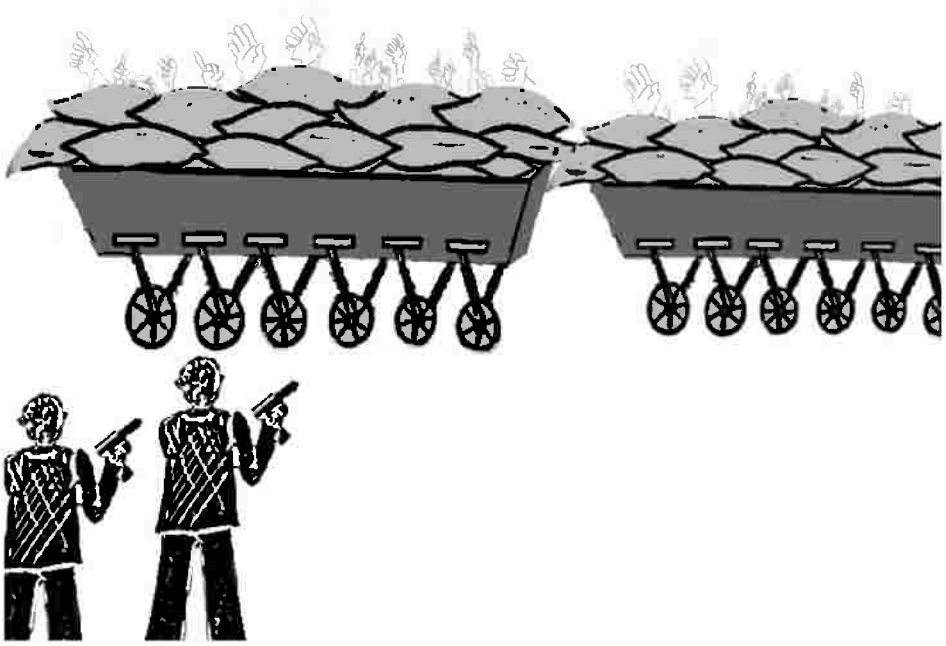

صورة 22: متاريس متحركة للتعامل مع الرصاص الحي.

المدرعات

* الرش باللون الأسود علىٰ النافذة الأمامية.
* رش زيت السيارات المستعمل علىٰ الأرض لتعطيل المدرعات.
* تعطيلها بمتاريس.
* وضع مسامير علىٰ الأرض.
* سد الطريق بتلال رملية.

إرشادات عامة لاستخدام أدوات الحماية

* اختيار طريقة الحماية مرتبط ارتباطاً كلياً بالاستراتيجية، فربما تكون الاستراتيجية هي تحمل الضربات بصدور عارية وافتراش الأرض أمام المدرعات بدلاً من رش الزيت علىٰ الأرض، أو قد تكون الاستراتيجية

هي تجنب الاشتباك تماماً وتفويت الفرصة على الخصم. وتذكر أن أفضل طريقة لصد الهجوم، ألا يهاجمك خصومك من الأساس.[1]

كلما طورت من أدوات الحماية طور خصمك أيضاً من أدواته، وهكذا تطورت تكنولوجيا الحروب، فمع كل ابتكار لدرع جديد، تبتكر قذيفة مضادة له.

* لا قيمة لوسائل الحماية إن كانت ستقود للحفاظ على الأرواح في مقابل نفور الناس، فكما أن أنشطة المقاومة اللاعنيفة تُختار بعناية بشكل ينسجم مع الناس، فإن وسائل الحماية بدورها يجب أن تكون في إطار مقبول بشكل عام، وإلا فما قيمة أن تحصن نفسك بدرع، ثم تلقي سلاحك.. وسلاحك هنا هو عموم الناس. أحياناً يكون درع الحماية للمقاومة أن يراها المجتمع حيث يريد.. فارس أعزل يتحدى الدبابة.
* يجب التمييز بين الحماية والرد، فهدف الحماية هو تحصين الأرواح والعقول، فكما يصيب القمع جسدك، فإنه يسعى إلى إفقادك اتزانك في التفكير، فإن ترنح جسدك أمام الضربات فثابر من أجل أن يظل عقلك متماسكاً. إن أدوات الحماية تساعد في الاحتفاظ بعقلك وقدرتك على التدبير أطول فترة ممكنة.
* يجب التمييز بين الاحتجاجات التي تهدف إلى مجرد التعبير عن الرأي والمقاومة الثورية التي دخلت مع النظام في صراع صفري. فالأولى قد لا تتطلب جهوداً كبيرة في الحماية، ومبالغة المقاومين والثائرين في إجراءات الحماية قد يُساءُ فهمها من قبل قوات القمع وعموم الجماهير. فعلى سبيل المثال رش زيت السيارات المستعمل أمام المدرعات في أجواء

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص9

احتجاجية عادية قد يمثل ثغرة يستغلها النظام، خاصة إن أشعل هو النيران في الزيت ليدعي إجرام المحتجين، بينما في الحالات الثورية يكون الرأي العام مهيأ، ولن تجدي كثيراً الدعاية المضادة.

كلما تمكن المحتجون من تقديم وسائل الحماية في أشكال مبهرة كان ذلك أقرب لرسالتهم الحضارية، مثل كتابة كلمات أو رسم جرافيتي معبر علىٰ الدروع، أو صناعة الدروع علىٰ هيئات فنية تلفت انتباه الناس.

صورة 23: مجموعة من المحتجين ضد الدرع الصاروخي لحلف شمال الأطلنطي، وخلف هذه الهيئة يمكن أن توضع الدروع المختلفة سواء علىٰ العين أو الصدر لحماية المحتج.

* * * *

الخلاصات

* قبل التعامل مع أي أداة من أدوات القمع يجب مراعاة الدراسة الجيدة لها، وطريقة استخدامها.
* المقاومة المحترفة تعد سجلاً لكل أداة وتسجل أهم محاولاتها في تطوير وسائل التعامل معها.
* يتم دراسة التكوين الفيزيائي للأداة، وكيفية عملها، وحدود تأثيرها، وكيفية استخدام النظام لها، وكيفية التعامل المضاد معها، وخبرات المقاومة العالمية والمحلية بها.

* * * *